على طريق الأصالة الإسلامية

١

ألف مليون مسلم

على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى

تأليف

أنور الجندى

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع

[illegible]

ت ٩٣١٥٨١

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٣٨٢٧
الترقيم الدولى ٧ — ٦٤ — ٧٣٠٨

المطبعة الفنية تليفون : ٩١١٨٦٢ — القاهرة

الف مليون مسلم مع الواء الوسائل

١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد معارك العاشر من رمضان بدات اهتمامات فى عالم الغرب لدراسة المجتمع الاسلامى والتفهم على العرب والمسلمين وتصحيح كثير من الاوضاع القائمة فى عالم الغرب والتى كان السيطرة اليهودية عاملا هاما فى حجب الصورة الصحيحة للمسلمين والعرب والمعروف أن اليهود الصهيونيين المتطرفين فى عداواتهم للعالم العربى والاسلامى يتولون كبريات المناصب الخاصة بدراسات الاسلام واللغة العربية فى مختلف جامعات الولايات المتحدة واوربا وقد كان لهذه السيطرة أبعد الاثر فى تطور دراسات الاستشراق على النحو مكن الصهيونية فترة طويلة من موالاة خداع العالم بمفترياتها واكاذيبها .

لقد كان ضروريا والمسلمون على ابواب القرن الخامس الهجرى وهم يتقدمون الآن فى سرعة الى رقم يمثل ثلثا سكان العالم حسب تقدير خبراء هيئة الامم المتحدة ويصل فى أوائل القرن عام ١٤٠١ هجرية الى الف مليون مسلم ، وقد وضعت فى يد هذه الامة ثلاث

قوى كبرى ، هى التفـــوق البشرى والثروة المـــالية والطاقة وصولا الى التكنولوجيا الاســــــلامية ، وان المسلمون مطالبون اليوم بالعمل على تحقيق بناء المجتمع الاسلامى الربانى بتطبيق منهج الله ليكونوا قادرين على تقديم هذا النموذج الى البشرية كلها وهم فى طريقهم الى تبليغ نظام الاسلام : دينا ودولة ومنهجا ونظـــام حياة ، ورسالة السماء الى العالمين وهى المســـئولية الموضوعة فى اعناقهم بحكم الميثاق الذى واثقهم به ربهم وسجل ذلك القرآن الكريم واشهد الله عليه رســـوله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

— ١ —

وقد برزت الصحف العـــالمية اخــيرا اهتمامات كبيرة لجامعات كولومبيا وهارفارد ونيويورك وبركلى ولوس انجلوس بدراسة اللغة العربية وان اكثر من عشرة آلاف طالب امريكى الآن يدرسون اللغة العربية واللغات الشرقية وان ٩٩ طالبا حصلوا فى العام الماضى على درجة الدكتوراه فى اللغات الشرقية وفى مقدماتها اللغة العربية . وجاء فى تقرير خاص ان عدد اللهجات واللغات التى تدرسها الجامعـــــات الامريكيـــة التى تستخدمها شعوب الشرق الاوسط هى ١٣ لغة ولهجة

منهـا اللغــة العربية الفصــحى واللهجات المصرية والعراقية والسودانية والمغربية بالاضافة الى اللغات التركية والفارسية والكردية كما اشار التقرير أن فى جامعة برنستون ١٢ الف مجلد ومخطوط عربى وفارسى وتركى وفى لوس انجلوس ٨٥٠٠ مرجع من هــــذا النــوع .

اما فى مكتبة الكونجرس فيوجد ١٢٠ الف مرجع، وليس كل هذا الا محاولة لاستكشاف الذات الاسلامية والعربية بعد حرب رمضان ونجد هذه المحاولة ممتدة فى الصحافة الغربية تحت اسم (دعوة لفهم العرب).

وقد تردد هذا المعنى فى عدد من الصحف الغربية، تقول جريدة بوست كريســانت : (من صحف ولاية وسكنسون الامريكية) مشيرة وراء الاخطار الكامنـــة وراء التحيز لاسرائيل وتجاهل ما اسمته (المد المتصاعد لقوة العرب) « ولا يزال على الكثيرين أن يعــرفوا الحقائق وأن يقدروا الى اى درجة نحن بعيـــدين عن معرفة حقيقة ما يمتاز به العرب من قوة وحنكة ودراية والى اى ازدادت ضخامة صورة اسرائيل فى نظرنا عن واقعها ، ولعلك بمجرد أن تذكر أن العـــرب تثير فى الاذهان صورة عن (الجمال) بكسر الجيم المغيرة ، والصحراء الجرداء وبمجرد ان تذكر اسرائيل تثير فى

اذهانهم صورة اخرى شـــعب مقلوب الافكار والآراء ذى نمط ثابت وأن هذا الشعور محاط من كل جانب بعواء البدو الرحل .

ان هذه الصورة زائفة ومضللة وغير صحيحة فى الابحاث الجديدة التى قامت بها جمعية دراســات الشرق الغربى فى جامعة كولورادو برئاسة اســتاذ التاريخ بها البروفسور وليامجويسولد اثبتت أن القسم الاكبر من المشكلة هو على الاكثر فى الكتب المدرسـية البسيطة والقديمة والتى تستخدم فى الابحاث الخاصة بالشرق العربى فى اكثر مدارس الولايات المتحدة .فقد اكتشفت جمعية الدراسات الشرق الاوسط أن اكثـر هذه الكتب ملىء بالاخطاء وانها ماضية فى صــياغة قوالب قديمة عن الاحوال السياسية والاجتماعية فى العالم العربى كما انها تبالغ فى تبسيط كثير من المواضيع المعقدة وتقفز الى النتائج متخطية الاسباب التى تجهلها بل هى تصل الى حد اصدار احكام اخـلاقية عـلى تصرفات الشعوب تحت ستار من واقع التاريخ » .

وهكذا تكشف الدراسات الجادة ان ما يقدم فى هذه الكتب الدراسية عن العرب والاسلام مزيف وكاذب وان السيطرة الصهيونية على مناهج التعليم فى الغرب (امريكا واوربا) انما يستخدم هذه الاكاذيب والسموم

لاحتواء الفكر الغربى كله ولتزييف صـــورة المسلمين والعرب ولكن أحداث العاشر من رمضـــان قد مزقت هذا الستر وكذبت هذا الزيف على النحو الذى يبدو واضحا الآن من محاولة التعرف على الحقيقـــة وفهم العرب والمسلمين فهما جديدا وقد دعا البروفســـور جويز وند الى التحرر من المسلمات القديمة التى عفى عليها الزمن فى هـــذا المجال ودعا الى الفهم الصحيح لواقع منطقة الشرق العربى الآن وقال أن هنـــــاك نصيب وافر من التمويه فى مسالة اهل فلســـــطين الاصليين ممن يطلق عليهم اسم اللاجئين وقال : ان فى وسع الغربيين أن يفهموا بصورة افضل اسباب غضب اللاجئين الفلسطينيين ونقمهم عما يقال الآن للطـــلاب فى المدارس الاجنبية أن العرب اقاموا ثلاثة عشر قرنا فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل فى الوقت الحاضر .
وأشار الدكتور جويزولد الى ما اسماه بمؤامرة كبرى تجاه الراى العام الامريكى ابتداء من التليفزيون وحتى مدرسة أيام الاحد حيث أحيط بعوامل كثيرة من الظلم والاجحاف والافكار الخاطئة التى تمنعـــه من أن يفهم حقيقة النزاع القائم فى الشرق العربى ودعا الدكتـــور جويزولد ناشرى الكتب المدرسية وجمـــاعة الميديا الامريكية ان يقدموا احـــدث المعلومات عن العرب وأبعدها عن التحيز والمحاباة وأن عليهم ان يقضـــوا

على ما اسماه الفراغ الكبير الذى يدعــو الى القلق والانزعاج .

— ٢ —

من عوامل الاهتمام بالعالم الاســلامى المعاصر تلك الاحصائية التى اذاعتها منظمة الامم المتحدة والتى تكشف عن ان المسلمين اليوم يشــكلون ثلث ســكان العالم وأن الدول التى ما زالت تقاوم الاستعمار : هى كشمير وفلسطين وارتيريا والصومال ، وأنعدد الدول التى تسكنها اغلبية مسلمة هى أربعــون دولة ، أما الدول التى يتراوح فيها عدد المسلمين من ٣٠ الى ٤٠ فى المائة من السكان فهى ١٥ دولة ما عدا الاتحــاد السوفييتى الذى يبلغعدد المسلمين فيه اكثر منأربعين مليونا والهند ٧٠ مليونا وفى كل من يوغوســلافيا (٣ مليون) وتايلاند (٣ مليون) وبورما (٣ مليون) والفيلبين (٤ مليون) ومن دراسة قام بها مجموعة من خبراء هيئة الامم المتحدة نشرت تحت عنوان الارقام المتوقعة لسكان العالم عام ٣٠٠٠ م امكن استخلاص هذه المعلومات التى تفيد المشتغلين بدراســات العالم الاسلامى فى العصر الحديث :

اولا : يبقى الدور الذى تقوم به الدول الناميــة

فى الزيادة الحالية لسكان العالم على وضعهحتى نهاية القرن الحالى اذ انها ستساهم بـ ٨٥ فى المائة من مجموع الزيادة السكانية للفترة بين ١٩٦٠ ـ ٢٠٠٠ على اية حال من الاحوال .

ثانيا : الزيادة السكانية الحاصلة فى البلدان النامية هى أكثر من الزيادة الحاصلة فى بقية العالم المتطور .

ثالثا : الحجم الكلى لسكان البلاد النامية(الشرق الاسلامى) سوف ينمو الى ٥ر٧٢ فى المائة وبهذا يمكن القول ان البلدان النامية فى خلال القرن الحالى وحتى نهايته سيتراوح عدد السكان فيها من ثلاثة ارباع الى أربعة اخماس مجموع سكان العالم ، أى ان البلدان النامية (وهى لا تدخل ضمن النظام الراسمالى أو الشيوعى) ستضم حوالى ثلثى سكان المعمورة .

رابعا : ان سرعة أو اطراد زيادة السكان فى البلدان النامية ولا سيما فى السنوات العشر الاخيرة كانت اكبر مما هى عليه فى البلدان المتطورة وستبلغ الزيادة الى مرتين ونصف (٢ ـ ٢/١ ٢) مرة على الرغم من التطور الاقتصادى لبلدان العالم الثالث بمجموعها اكثر بقليل مما هى عليه فى الدول الراسمالية

المتطورة اقتصاديا وسيتجاوز الدخل السنوى بالنسبة للفرد الواحد فى البلدان النامية ليس فقط بـ ٨ مرات كما كان عشية الحرب العالمية الثانية بـ ١٢ مرة كما هو فى الوقت الحاضر وانما سوف يصل الى ١٨ مرة .

خامسا : سوف تزداد حصة البلدان النامية من مجموع سكان العالم على حساب البلدان المتطورة وهذه الزيادة هى التى سوف تحدد درجة الاختلاف الموجودة فى مستويات معيشة السكان .

تعكس هذه التغيرات الدور المتعاظم لبلدان آسيا وافريقيا فى العلاقات الدولية من حيث تأثيرها فى السياسة العالمية اذ اصبحت على قدم المساواة مع الدول الاخرى . اهـ .

* * *

المرابطة فى الثغور

ثلاثة اخطار تواجه العالم الاسلامى فى هذه المرحلة من حياة الاسلام :

اولا : التبشير الغربى الذى تقوم به الدول الغربية فى افريقيا وجنوب شرقى آسيا (اندونيسيا والملايو والفيلبين) وبقاياه فى البلاد العربية .

ثانيا : الشيوعية الماركسيةالتى تحاول السيطرة على أجزاء من العالم الاسلامى بالاحتواء والحكم .

ثالثا : الصـــــهيونية التلمودية التى تتمثـــل فى الاستعمار الاسرائيلى لفلسطين كما تتمثل فى السيطرة على بعض المناهج الفكرية والسياسية والاجتمـــاعية المعروفة فى العالم .

ولقد كان التبشير الغربى : هو المقــدمة التى اهلت العالم الاسلامى للوقوع فى براثن الفكر الماركسى والصهيونى ، فقد كانت اليهودية من وراء الشـيوعية من ناحية ومن ناحية اخرى كانت وراء الراســــمالية والتنظيمات الربوية والاجتمـــاعية المنحلة والاباحيـــة التى غزا بها النفوذ الاستعمارى بلاد عالم الاســـلام وجعلها اداة اساسية فى ســـــيطرته على المجتمعات فضلا عن تجميده لشريعة الاســـلامية واحلال القانون الوضعى بدلا منها وفرض نظم التعليم الغربيةالعلمانية التى تفصل مادة الدين عن الثقافة وفق مفهوم غـــربى لاهوتى لا يتطابق مع مفهوم الاسلام الجامع : دينـــا ودولة ، ومنهج حياة ونظام مجتمع وعقيدة وشريعة .

ولقد قطع المسلمون مراحل كثيرة فى ســــبيل مواجهة هذه التحديات الثلاث ولكنهم ما زالوا فى حاجة الى مجهود اضخم واكبر يتحتم معه تهيئة المجتمعـــات

الاسلامية لحياة اصيلة قوامها زاد الفطرة واعلاء شان التكامل الجامع بين الروح والمادة .

واذا كان محمد اقبال شاعر الاسلام قد اعلن منذ الثلاثينات بأن الاسلام مهدد بخطرين مصـــدرهما الغرب : أولهما الالحاد وثانيهما الاستعمار وان مستقبل الاسلام رهن بمستقبل العرب وان مستقبل العـــرب رهن بوحدة العرب فاذا تمت الوحدة علا شان المسلمين فى أنحاء الارض : **هذه الصورة التى عاشها اقبال قد تغيرت كثيرا اليوم فى الثمانينات فقد دخـــــل عاملان جديدان هما عامل الشيوعية الخطير وعامل الصهيونية الاشد خطورة وهو عامل ذو شقين : شـــــقه الاول فى سيطرته على القدس ، ووجـــوده فى فلســـطين ، واحتلاله لاجزاء من سينا والجولان والضفة الغربية ، وشقه الثانى فى ذلك النفوذ الفكرى .** المتمثل فى مناهج العلوم الاجتماعية والنفسية والاخــــلاقية وكثير من نظريات الادب والاقتصاد والسياسة المتـــداولة اليوم على انها علوم اجتماعية بينما هى لا تزيد عن أن تكون مفاهيم تلمودية مغلفة بأغلفة من بريق العلم وخـــداعه الذى اجاده اليهود . **والمعروف أن الشيوعية وليـــدة الصهيونية وربيبتها وخادمتها فى مختلف المجالات .**

ولا ريب أن الروابط الوطنية والقومية والاسلامية

قد اخذت منذ وقت بالبحث عن أسلوب اسلامى أصيل بعد أن ذهبت وراء مفاهيم **القوميات الغربيـــــة التى** حاولت ان تحطم العلاقة الطبيعية بين العرب والمسلمين من ناحية وبين المسلمين والعرب جميعا وبين ماضيهم وتاريخهم وتراثهم الذى بناهم كالطود الشامخ خمسة عشر قرنا وحماهم من التمزق والاحتواء .

فلا ريب ان هنـــــاك روابط ثلاث : هى الارض بالوطنية والعرق بالقومية دون أن يكون لاحـــــدها استعلاء عنصرى . وذلك كله فى فلك الرابطة الكبرى : رابطة الفكر الذى صنع لهذه الامة أسلوب عيشـــها ونظامها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى منـــذ نزل القرآن الكريم فأقام هذه الرابطة الجامعة التى قامت على **(لا اله الا الله)** ولقد استطاع الفكر الاسلامى أن يصهر خير ما فى الثقافات القديمة فى اطار (التوحيد) وان يجعل منها « روحا » يعتنقه أهل المنطقة جميعـــا مهما اختلفت اديانهم ، ذلك بأن اصل هذه الاديان كلها واحد وأن الحنيفية الابراهيمية السمحة التى انشأت منذ ثلاثة آلاف عام ويزيد هذه الوحدة التى نشأت فيها الاديان كلها بقيمها واخلاقها ومفـــــاهيمها ، **ثم جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتقـــدم ذلك المنهج الربانى الخالد الذى هو الصبغة النهائية التى اختارها**

الحق تبارك وتعالى للبشرية والتى هى عصـــارة كل الاديان السماوية السابقة .

ومن هنا فان الامم فى هـــذا الاطار تلتقى عـــلى الرابطة الكبرى فلا تزول عنها الا فى ظل الاحــــداث والتحديات التى تمزق الامم الى وحــدات اقليمية او قومية ، ثم لا تلبث هذه الامم أن تعود الى الوحــــدة الكبرى كلما خفت عنها عوامل الاضطهاد والســيطرة والنفوذ الاجنبى .

ولا ريب ان المسلمين اليوم وعلى ابواب القــرن الخامس عشر قد عرفوا أهواء القــوى التى تريد أن تحتويهم أو تأكلهم وان رابطة الانتماء الى فكر واحــد أو ثقافة واحدة أو معتقد واحد كان هو أصــل هــذه الروابط واوسعها واعمقها وآخرها ظهورا بعــد ان استحصدت العائلة البشرية وارتفعت فوق القبليــات والاقليميات وتعصبها .

ولقد شكلت وحدة الفكر رابطة كبرى بين الامم التى تلاقت على ثقافات تربطها اصــــول واحدة من العقائد والاديان أو القضايا المشتركة ، وكانت رابطة الاسلام هى أقوى هذه الروابط واوسعها نطاقا وهى الراية التى استظلت بها الامم والنحل والاديان جميعا

ووجدت فيها السماحة والرحمة والاخاء الانسـانى ، وما تزال كذلك لانها تقوم على (عقد اجتماعى) مكتوب هو (القرآن) الذى لا يزال هو اللغــة الجامعـة الموحدة (قبل اللغة العربية واللهجات الاقليميـــة) فالقرآن لغة وتاريخا وفكرا جامع ، ووحدة الفكر هذه ليست ملكا للمسلمين وحدهم ولكنها ملك لاهل هــذا العالم الواسع الجامع بمن فيه من امم وأديان وعقـائد ولغات لانها كلها قد صهرت فكرها وثقافتها منذ الف عام فى هذه الوحدة الجامعة .

ان المسلمين والعرب يدخلون فى أوائل القــرن الخامس عشر ، مرحلة الرشد والاصــالة بعد أن مرت حياتهم خلال قرن كامل تقريبا بتلك التحـــديات الخطيرة : عسكرية وسياسية وثقـافية واقتصـادية التى واجهتهمبالاستعمار الفرنسى والبريطانىوالايطالى ثم بالغزوة الصهيونية .

وامام المسلمين فى هذه المطالع الجديدة الحاسمة تلك النظرات الواضحة التى قدمها الباحثون الغربيون المنصفون : (وان كانت **اساسا مما نؤمن به ولا نشك فيــه)** .

اولا : **اولئك الذين اعترفوا بعظمة الشريعـــة**

الاسلامية وجلالها وقدرتها الفائقة على بناء مجتمع انسانى رفيع القدر .

ثانيا : **تلك الكتابات التى قررت دور المسلمين** فى بناء الحضارة الانسانية الحديثة وتقديمهم المنهج العلمى التجريبى الذى هو الاساس الوحيد للعلم والتكنولوجيا الحديثة .

ثالثا : **الاعتراف بان جميع حركات التحرر** الوطنية فى العالم الاسلامى انما استمدت قدرتها ووجودها من مفهوم الاسلام نفسه .

رابعا : **مقدار ما قدم الاسلام فى مجال العلوم** الاجتماعية والنفس والاخلاق والتربية من مفاهيم تستهدف بناء الاخاء الانسانى وتعارض العنصرية وتحمل لواء تحرير الانسان من العبوديتين : عبودية الروح والعقل وعبودية الجسم التى عرفتها حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهنود .

خامسا : **مكانة اللغة العربية ودورها الخطير** فى بناء الوحدة الاسلامية العربية والفضل فى رسوخها الى القرآن الكريم الذى نزل بها فأعطاها هذه المكانة.

سادسا : **نصاعة تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وسلامة النص القرآنى** الموثق وثبات تلك

التواريخ والعلاقات الاصلية مما لا يوجد له مثيل فى الامم والعقائد الاخرى .

سابعا : **قدرة الاسلام الفائقة** على العطاء وحيويته الكامنة والتقائه بالفطر وبالعلم وبواقع الحياة وقدرته على احداث التغيير الى اعلى والى احسن باساليب مرنة سمحة كريمة .

كل هذا وغيره مما يجعل الاسلام هو الامل الذى يملأ نفوس المصلحين فى ارجاء العالم وهم يتطلعون اليه باعتباره الوسيلة الاخيرة لتحقيق المجتمع الامثل بعد ان فشلت كل الايدلوجيات خلال اكثر من ثلاثة قرون فى تقديم منهج اصيل لبناء المجتمع الانسانى ، وهو فى هذا انما يدعو الى السلام والرحمة والخير ولا يتطلع الى استعلاء او سيطرة : على النحو الذى رسمه القرآن الكريم : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » .

وليس ادل على صدق الاسلام وانه دين الله الحق ، انه لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى اشد ايام الصراع بين عالم الاسلام وبين الاستعمار ، وقد انتشر الاسلام بقوته الذاتية وبفضل سماحة مبادئه الربانية المصدر ، وهى تحمل التوحيد

والحـــرية والاخـــاء البشرى وتحمـــل الى الملــــونين والمستعبدين روح المساواة والرحمة .

ولا ريب فى هذا الاثر فقد جاء الاســـلام حاملا ميراث النبوة والوحى الربانى وقد أستوعب اعظم مافى الفكر البشرى مما هو اصلا من ميراث الاديان فصهره فى بوتقة التوحيد .

وليس أمام المســـلمين اليوم الا ان يتسلحوا بروح الرابطة على ثغورهم وان يستقيموا عـــلى طريق الله بالجهاد والقدرة على حماية بلادهم واستعادة ارضهم وان **يكون طابع الجهاد واضحا** فى مختلف مجـــــالات الثقافة والاجتماع والحياة جميعا **وان يكون ذلك منطلقا الى تطبيق الشريعة الاسلامية** وبناء اسلوب اسلامى للتربيةوالتعليم بما يحقق «تميز» المسلمينتميزا واضحا لامة تحمل خاتم الرســـــالات الى العـــالمين . وعلى المسلمينأنيأخذوا التكنولوجيا واسرار العلمفيصيغوها من جـــديد فى اطـــار فكـــرهم الاســـــلامى القـــائم عـــلى العـــدالة والاخاء والرحمـــة وان يصـــيغوها فى لغتهم العربية فلا يكونوا عالة على اللغات والامم ، اما فيما **يتعلق باسلوب العيش فان للمسلمين اسلوب** عيشهم **الاصيل : خلقا وعقيـــدة وايمانا بالله وانهم**

ليسوا فى حاجة الى اسلوب مغاير يقوم على مفـــاهيم وقيم تتعارض او تختلف مع عقيدتهم .

٣ ــ عطاء المنهج الربانى

لم يتوقف الاسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى اشد ايام غزوه من القوى المعادية : التتار ، الصليبيين فى المشرق ، الفرنجة فى المغرب ، وقد بلغ عدد الذين اعتنقوه من غير العـــرب حتى اليوم ٩٠٠ مليون مسلم (العرب مائة مليون) وقد انتشر بعد ايام الفتح الاولى بقوته الذاتية ، وبفضل مبادئه التىحملت التوحيد الخالص والحريةوالاخاء والرحمة الى الملونين والمستعبدين .

وللاسلام اليوم لونه المميز على الخريطة ، هذه المنطقة الوسطى بموقعه الجغرافى الفريد يملك أربع منافذ مائية هامة ودولية تعد الشريان الرئيسى للتجارة العالمية : قناة السويس ومضيق جبل طارق ومضيق باب المندب ومضيق البسفور .

ويضم العالم الاسلامى اليوم ٤٤ دولة مستقلة وله من الموارد الضخمة والامكانيات سيما البتـــرول والطاقة والكوبلت والمنجنيز والفحم والفوسفات فضلا

عن ثرواته الزراعية والمعدنية بالاضافة الى التفـوق البشرى والموارد الضخمة وهو فى هذه المنطقةالوسطى يحمل رسالة التوحيد بين مادية الغرب ووثنيةالشرق، وله منهجه الربانى الزاحف الممتد ، الذى تتطلع اليـه البشرية اليوم بوصفه ترياقها الوحيد .

العالم الاسلامى قارة بين القارات متصلة ، عالم بكامله بارضه ومحيطاته وناسه ومقوماته بمضـائقه ومنافذه ، البحر الابيض المتوسط فى شطآنه الشرقية والجنوبية وجزء كبير من شاطئه الشمالى ، وهنـاك البحر الاحمر ، والمحيط الهندى ويطل على قسم كبير من المحيط الهادى .

وهنـاك فى الغرب له نفوذه وزحفه (فى مايو ١٩٧٦) اعلن الدكتور خورشيداحمد مدير عام المؤسسة الاسلامية فى اوربا فى مؤتمر لندن الاسلامى أن عـدد المسلمين فى اوربا يبلغ حاليا ٢٥ مليـونا و ٢٠٧ آلاف نسمة تقريبا ويقدر عدد المسلمين بالدول الاوربية غير الشيوعية بنحو ثلاثة ملايين و ٩٣٠ الف نسـمة أى بنسبة ١ر٧٥ فى المائة من عدد السكان ، اما عـدد المسلمين بالدول الاوربية الشيوعية فيقدر بنحـو ١٩ مليونا و ٢٧٧ الف نسمة اى بنسبة ١٨ فى المـائة من مجموع السكان (ولا يدخل فى هـذا العدد مسلمو

الجمهوريات الآســيوية التابعــة للاتحاد السوفيتى) وتوجد اعلى نسبة من السكان فى فرنســا حيث يقدر عددهم بنحو مليون و ٩٧٢ر٨٣٠ نسمة اى بنســبة (٣ من عشرة فى المائة) من عدد السكان وفى المــانيا يوجد مليون ونصف المليون وفى بريطانيا حوالى مليون. وهناك فى امريكا وكندا والبرازيل والارجنتين وكولومبيا وفنزيلا وبلاد المكسيك وغانا البريطانية حوالى المليون.

وقد أشار مسئول أجنبى الى هذا المعنى حين قال : ان المسلمين يمثلون عالما مستقلا كل الاستقلال عن عالمنا الغربى فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جــديرون ان يقيموا بها قواعد عالم جــديد دون حاجــة الى (الاســتغراب اى دون حاجــة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصفة خاصــة فى الشــخصية الحضارية الغربية) .

ومن هنا فنحن نعرف تلك الحملة الضخمة التى توجه الى المسلمين من خلال مؤسســات التعريب والغزو الثقافى بهدف اضعاف ثقتهم فى انفسهم واحتوائهم ومحاصرة فكرهم وتدمير قوتهم حتى لا يصــبحوا يوما وهم قادرون على امتلاك ارادتهم مع انهم أن يكونوا اذ ذاك الا عامل اسعاد للبشرية كلها وعامل عطاء ورحمة

وعدل واخاء ، ولكن القوى التى تثير حولهم الشبهات هم الصهيونيون التلموديون ، اصحاب بروتوكولات صهيون والعاملون على انشاء امبراطورية الربا ، هؤلاء هم المذعورون الذين يخافون دخول المسلمين مرحلة النهضة مع هلال القرن الخامس عشر بعد أن مروا بمرحلة التفطن خلال القرن الرابع عشر الذى كان قرن المقاومة والصمودفى مواجهة الغزو العسكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى ، وفى وجه النفوذ الاستعمارى والنفوذ الصهيونى والنفوذ الشيوعى جميعا متكاتفين متساندين ، ومع ذلك فقد عجزت هذه المؤامرات الضخمة التى بداها القرن الرابع عشر باحتلال اهم مواقع العالم الاسلامى مصر وبعدها السودان وسوريا والعراق وتونس ومراكش ، وكانت الجزائر والهند والملايو قد سقطت من قبل .

ولكن حركة التفطن الاسلامية استطاعت أن تواجه هذه المعركة فى قوة وكان للازهر والقرويين وقلاع الاسلام فى كل أرض ، بالاضافة الى حركات الاصلاح والتجديد بعد حركات المقاومة العسكرية (عرابى وعبد الكريم ومن قبله عبد القادر الجزائرى وشامل) كل هذا أعطى الغرب ايمانا أكيدا بأنه لن يستطيع أن يقتلع الوجود الاسلامى ولن يستطيع

احتوائه ولقد امتد نفوذ الاسلام السلمى فى هذا القرن الذى نشهد اليوم خاتمته الى مركزين خطـــيرين الى جنوب شرق آسيا والى قلب أفريقيا شرقيها وغربيهـــا بالرغم من كل محاولات التبشير فى ايقافه والقضــــاء عليه وما تزال المعركة محتدمة فى الفيلبـــين وارتيريا والصومال وسوف يكون النصر لكلمة الحق وســـوف يصمد المسلمون فى معركتهم الكبرى حتى يدخلوا القرن الخامس عشر وهم اشـــد قوة يمتلكون التكنولوجيا الحديثة والقوة العسكرية التى تحمى ثغورهم وتدفــع عنهم عدوهم .

واليوم والمسلمون يستشرفون القـــرن الخامس عشر الهجرى على طريق القوة والنهضــــة فان اهم الامور التى تحتاج منهم الى اهتمام عميـــق هـــو أن لا تحولهم المقدرات المادية عن الاستمساك بوجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الاســـلامى ، وأن يكونوا قادرين على نقل احدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المـــادية لتكون موادا خاما يصـــيغونها فى داخل اطار فكرهم وقيمهم ، وبذلك يصنعون الحضارة القادمة : حضارة القرن الخامس عشر الهجرى الذى اوشك أن يهل هلاله والذى يتطلع اليه المســـلمون كعلامة على عصر جديد تعود الكرة فيه مرة اخرى الى ايدى العرب والمسلمين .

ان اخطر ما واجه الحضارة الغربية الحـــديثة واسلمها فى وقت قريب الى الازمة الخانقة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من اسباب التقدم المادى هو انها كسرت الاطار الدينى وحطمت الضابط الاخـــلاقى الذىهو الحاجز الحامىلكل نهضة منالتعثر والتصدع ومضت تواجه الحياة بغير سناد من الايمان بالله يحمى ظهرها ، او نور من هدى الله يضيىء طريقهـــا وبذلك صرعتها المـــادية الغالبة وانحرفت بها الطـــريق الى تاكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات فانتهت بها الى تلك الازمة الحادة التى تضعها الآنعلى طريق الافول ، هذه التى يبحثـــون لها عن عـــلاج ،
وهى أزمة الانسان الحديث وصراعه وتمزقه وغربتـــه وضياعه ، ، كل هذا الذى قاساه ويقاسيه من اهوال غيبة المعنويات وتجاهل أشواق الروح وتصدع النفس وتمزق الكيان الانسانى وفقدان الهوية والهدفوالعجز عن فهم رسالة الانسان وأمانته واستخلافه فى الارض والغاية والمصير فليحذر المسلمون اليـــوم وهم على الطريق الى امتلاك ادواتالحضارة الحديثة وتكنولوجيا العصر ، أن تستوعبهم هذه الحضارة أو يحتـــويهم ، هذا الفهم المدمر القاصر ، وعليهم أن يبدأو من نقطـــة التوحيد فى الفكر والرحمة فى الانســـانية والاخاء فى البشرية ومن اللغة العربية كمدخلالى العلم كلهفينتقلوا

اليها كل معطيات العلم ، ومن الايمان بوحدة البشرية والاخاء الانسانى والعدل والرحمـــة باعتبارها هى معطيات الاسلام للانسانية ، وليجعلوا من هــذا كله اطارا يتحركون فيه ومنطلقا يبداون منه ويعودون اليه، فيخضعون العلم لرب العلم ويخضعون الحضـــارة للاخلاق ويخضـــعون المجتمعات للتقـــوى ويجعلون مقدرات البشرية للناس جميعا وليس لفئة مستعلية أو مسيطرة أو مستغلة ، وبذلك يحققوا ارادة الله فى بناء المجتمع الانسانى الحق الذى تتطلع اليه الدنيا جميعا بعد ان عاشت فى الظلم والظلمات طويلا وبعد أن فقدت ثقتها فى الايديولوجيات جميعا شرقيها وغربيها وليطلع المسلمون الناس على انهم يملكون منهاجا ربانيا قادرين على اسعاد البشرية كلها ودفعهـــا الى طريق الحـــق والعدل وتحريرها من الجوع والخوف وتامين النفس الانسانية اساسا من القلق والتصدع والانهيار .

« صراط الله الذى له ما فى الســـموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور » .

* * *

امانة الانسان فى الارض

ان من مهمة الدعاة الى الله تبارك وتعالى فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الامة الاسلامية أن يحــرروا الشخصية الاسلامية من التبعية بكلصورها والوانها، والتوصل الى تاسيس مدارس وتاصــيل اتجــاهات اسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرعهــا فى « اطار اسلامى » وعلينا تاصــيل الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

لقد اصبح المسلمون اليوم يملكون الطاقةوالثروة والتفوق البشرى وهم على ابواب استيعاب تكنولوجيا العلم بحيث يستطيعون استغلال مساحات واسعة من الاراضى وقدرات هائلة لم تستغل بعد ، تعد دور عالم الاسلام بعد أن نضبت آبار الغرب وثرواته ومصانعه التى عملت بخامات المسلمين اربعــــة قرون او يزيد وســـوف تكون حضارة الاسلام متميزة بطابع العـــدل والرحمة والاخاء الانسانى ، أن المسلمين اليومينتقلون من عصر اليقظة الى عصر النهضـــــة مرورا بمرحلة الرشد والاصالة والحفاظ على الشخصية والتمــاس المنابع .

ان المسلمين يقفون اليوم موقف الحيطة والحذر فهم لا يتقبلون حضارة الغرب المتهالكة فى شـــقيها المتصـــارعين ، ولكنهم يقبلون من الغـــرب العـــلوم التجريبية وحدها ، اما أسلوب العيش فهم يرفضونه لانه يتعارض مع قيمهم وعقيدتهم ومفاهيمهم القـــرآنية الاســـلامية .

ان الغرب الآن يتطلع الى عالم الاســـلام ليرى فيه صورة الاسلام مطبقة ، بعـــد أن تحررت الامة الاسلامية من التبعية للنفوذ الاجنبى والصـــهيونية والشيوعية ، أن الصورة الآن فى الغرب تكشف عن أنه يتقدم تقدما شديدا وحاسما نحو الاسلام .

يقول الدكتور محمد يحيى الهاشمى : يكاد يكون اليوم فى كل قطر أوربى من رعايا المسلمين . للاسلام قوة روحية لا تنكر فقد اخذ يتجه نحـــو الغـــرب الى أوربا وأمريكا واصبحت شعوب اوربا وأمريكا تقبـــل على دين جديد بالنسبة لهم ، جدير باعطاء نفـــوسهم الراحة والسلام ، لانه دين لا يتعارض مع الفطـــرة والعلم والمعرفة وجدير بالتقدم البشرى والاقبـــال شديد فى أمريكا على اعتناق الاسلام من قبل الزنوج والامريكيين وتوجد جاليات اسلامية فى انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والدنمرك والسويد وفنلندا وليتوانيا

واسبانيا واليونان وسويسرا ورومانيا وبلغاريا وبولونيا والبانيا ويوغسلافيا وايطاليا والنمسا والمجـــر ، لهم مراكز ومساجد يدرس فيها القرآن والحديث ، وتوجد كثيرا من الجمعيات الاسلامية فى نيويورك وواشنطون وسان فرانسيسكو وكاليفورنيا وفى امريكا الجنـــوبية جالية اسلامية كبرى فى يونس ايرس عاصمة الارجنتين وصحيفة اسلامية .

ان معجزة الاســـلام الكبرى فى العصر الحاضر تتمثل فى نموه بخطا وئيدة الى الامام .. فاذا اضفنا الى ذلك ان جورج برناردشو الكاتب الايرلندى الشهير صرح منذ سنوات ان الاسلام القابل للتجدد ســـيكون دين اوربا ان قريبا وان بعيدا .

كل هذا يعطى الداعية المسلم ابعـــاد المسئولية الملقاة على عاتقه اليوم لحمل امانة الاسلام الى تلك الاصقاع ، متجردا لله تبارك وتعالى غير صريح عـــلى مغنم دنيوى .

وفى عالم الاسلام اليوم قد تبين بجلاء ووضوح ان التماس المنابع والعودة الى الاصـــالة هى الحـــد الحافظ من الوقوع فى براثن ازمة الانسان المعاصر بعد ان تبين ان منهج الله تبارك وتعالى الذى هدى اليـــه الامة الاسلامية يحمل عـــدة عـــوامل مميزة عن المنهج

البشرى : تكامله ونظرته الجامعة فى مواجهة الانشطارية الغربية ، رحمته وسماحته فى مواجهة الدعوة الغربية الى قتل الضعفاء والتخلص من المرضى والفقــراء ، التماس وجه الله تبارك وتعالى فى مواجهة الاستعلاء العنصرى واللونى والجنسى ومحاولة جعل القـــوة المــادية لقوم دون قوم .

لقد تبين للمسلمين ان لكل حضـــارة خصائصها المميزة المستمدة من مواريثها وثقافتها وعقيـــدتها وان الميراث الاسلامى متصف بالتوجيه والرحمة والعدل ، ولقد جرب المسلمون أساليب الايدلوجيـــات ومناهجها وتكشف لهم انها لم تستطع ان تقدم لهم مطـــامحهم النفسية والروحية ، ولذلك فانهم حين يعـــودون الى المناهل الاصيلة فانما يتلمسون الطريق الصحيح .

((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) .

وكذلك فقد تبين للنفوذ الاجنبى أن كل محاولاته التى قام بها من عمليات التبشير والتغريب والغـــزو الثقافى كوسيلة لاذلال المسلمين الى جانب السـيطرة الاقتصادية والمــالية لم تحقــق نتيجـــة تذكر ، وأن الاسلوب الاصلح هو اعطاء هذه الامة حقها الكامل فى تطبيق أسلوب العيش الذى تشكلت عليه والفته منذ

أربعة عشر قرنا وان المسلمين بعد ذلك هم اهل رحمة واخاء وعطاء ما دامت القوى الكبرى لا تطمع فى غمط حقهم ، لقد كانوا عونا للتقدم العالمى فى كل المراحل :

يقول المؤرخ الانجليزى هونشو : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم افانين العلم والمعرفة .
وقال جيمس برستد أن العصر الاسلامى فى اسبانيا كان اكبر عامل من عوامل المدنية فى أوربا وان انخذال المسلمين فى اسبانيا كان بمثابة انخذال المدنية امام الهمجية ولكن بدأ الغرب فى صورة غير المعترف بالجميل وغير المنصف للحقيقة العلمية او التاريخية وكان فى مفهوم ثقافته لا يرغب الا فى السيطرة ولا يرى العدل والحرية الا للجنس الابيض » .

والعالم كله يعرف الآن ان المنهج التجريبى كان من عمل المسلمين وانه هو اساس الحضارة الحديثة — فى مجال العلوم التجريبية والتكنولوجيا — فمن حق المسلمين ان يحصلوا على هذه العلوم ليديروها فى دائرة فكرهم الاسلامى ، لا ان يخضعوا لمفاهيم الغرب ألتى احتوت هذه الحضارة من بعد وخاصة فى تجربتها الاجتماعية التى هدمت الاسرة واحدثت اضطرابا شديدا فى علاقات المراة والرجل وفى كل ما يتصل

بالفنون والمسرح والربا والقمار وغرف الليل .

ان التجربة الغربية لاسلوب العيش الذى طبقتها بعض الدول الاسلامية جريا وراء أسلوب الغرب قد جمدت قدرتها على التقدم الحقيقى ، ولم تكسب منهـــا شيئا ذا بال ، ولقد عادت تركيا الاسلامية مرة أخرى الى اصالتها بعد أن غرقت فى التجربة الغربية، وكذلك اخذت ايران وباكستان فى التماس المنهج الاســـلامى الاصيل ، أما العرب فقد كانوا أقدر على التحـــرر من نفوذ الايدلوجيات الغربية بعد أن مروا بتجربة النظام اللبرالى والنظام الماركسى ولم تجد من احدهما قدرة على العطاء ، ولقد تعالت صيحات الاصالة فى العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية والحفاظ على اللغـــــة العربية وتحرير الاقتصاد من النفوذ الربوى المدمر .

ولا ريب أن ظاهرة « العودة الى الله » التى تمضى اليوم فى طريقها الاصيل تكشف عن جوهر هذه الامة القادرة فى أوقات الازمات والمحن أن تلتمس اصالتها من مصادرها الاصيلة ومنابعها الثرية ، متحررة من كل نفوذ اجنبى وقادرة على الاخذ والعطاء مع الحضارات والامم دون أن تفقد ذاتيتها الخاصـــــة ولا طابعهـــا الاصـــيل .

ولقد ترددت صيحات كريمة تدعو العرب والمسلمين اليوم الى ان لا تحولهم المقدرات المادية عن وجودهم

الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الاسلامى وان يكونوا قادرين على نقل احدث مستحدثات العلم والتقـــدم والحضارة المادية لتكون موادا خاما يصنعونها داخــل اطار فكرهم وقيمهم وبذلك يصنعون الحضارة القادمة: حضارة القرن الخامس عشر الذى يتطلعاليه المسلمون كعلامة على عصر جديد تعود الكرة منه مرة اخرى الى ايدى العرب والمسلمين . ولنكن على عظة من مقتــل الحضارة الغربية الذى اسلمها الى الازمة الخانقـــة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من اسباب التقـــدم المـــادى وهو انها كسرت الاطار الدينى والاخـــلاقى الذى هو الحاجز الحامى لكل نهضةمن التعثر والتصدع وقد مضت تواجه الحياة بغير ســـــناد حقيقى يحمى ظهرها أو نور صادق يضيىء طريقها وبذلك صرعتهـــا المادية الغالية وانحرفت بها الطريق الى تأكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات وهـــذه ازمة الانسان الحديث وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه، نتيجة تجاهله أشواق الروح ونداء الوجـــدان وصيحة الضمير ، وتمزق الكيان الانسانى وتجاهل مســـئولية الانسان والتزامه الاخلاقى وأمانته التى حملتـــه اياها اديان السماء ، فليحذر المسلمون اليوم وهم عـــلى الطريق الى امتلاك ادوات الحضارة الحـــديثة ان تستوعبهم الحضارة او تحتويهم وعليهم أن يصـــيغوا حضارتهم فى اطار التوحيد والرحمة والاخلاق .